

الثناء المنيف

في

عزاء الشيخ المنيف

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي قضى القضاء، فكتب على نفسه البقاء، وعلى عباده الفناء، وقال في محكم الترتيل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، تفرد - سبحانه - بالدوام، وجعل الموت نهاية كل الأنام، وأصلي وأسلم على من قال فيه ربه - سبحانه -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال له - جل وعلا -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، صلى الله وبارك عليه، وعلى آله الأتقياء الأنقياء، وصحبه بدور الاهتداء، وأنجم الاقتداء، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرض والسماء، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فبمزيد من الإيمان بقضاء الله وقدره، وببالغ الحزن والأسى أبوح وفي الحلق شجي وشجن بهذه الكلمات الباكيات، والأثبات المقضات، من قلب حزين مهموم، وعقل شارذ موحوم، وصدر محشرج الصُعداء، وأعين مكلومة دمعاء، تجود بألوان البكاء، فقد جاءني نفي، ينعي الشيخ الجليل / عبد الله بن محمد المنيف، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله رحمة الله رحمة الأبرار، وألحقه بالمصطفين الأخيار، وأعلى درجاته في المهديين، وخلفه في عقبه في الغابرين.

إن أعظم أنواع الفقد على النفوس وقعاً وأشدّه على الأمة لوعة وأثراً فقد العلماء الربانيين، والأئمة المصلحين، وأهل القرآن المخلصين

إذا ما مات ذو علمٍ وتقوى فقد تلمت من الإسلام تلمة

لكنها سنة الله في الكون، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، فالموت كأسٌ وكل الناس شاربه، تحسّى مرارته الأنبياء والأولياء والعلماء والزعماء والنبلاء.

أول ما عرفته - رحمه الله - يوم التحاقى بمعهد الرياض العلمي عام ١٣٩٤هـ - وفي اختبار القبول في المعهد كان - رحمه الله - رئيس اللجنة فلما دخلت اللجنة وسلمت عليهم أول سؤال طرحه علي هل أنت من الحفظة؟ فقلت له: نعم، أبشرك والحمد لله

فقال: ونعم يا ولدي، وأسمعتة شيئاً من القرآن فإذا عيناه تذرغان وقال: حسبك، اعتبر نفسك أول المقبولين في المعهد.

مما كان له الأثر الكبير في نفسي ونفس والدي رحمه الله الذي كنت بمعيتة وقت المقابلة، وقد ابتلاه الله بكف البصر والذي أسأل الله أن يجعله ممن يشمله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته يهما الجنة" ونحسبه من الصابرين المحتسبين في ذلك.

يجزيك ربك ما قدمت من حسنٍ من واسع الفضل والإحسان والنول
ويكتب الله ما عانيت مدخراً إذا كان صبرك أعيا الداء بالكلل
ولقد توطدت العلاقة بشيخي المنيف رحمه الله حيث درسنا القرآن الكريم في السنة الأولى في المعهد، وكان رحمه الله يخصني بمزيد عناية واهتمام، وكان يملك ناصية التشجيع والتحفيز لأبنائه الحفظة خاصة، وأذكر من المواقف في ذلك أنه أول ما دخل علينا الفصل في السنة الأولى من المعهد قال: من منكم يحفظ القرآن؟

فسكت الطلاب، فأعادها ثانية بصوت جهوري

فقلت: ابنك عبد الرحمن

فقال: أبشرك يا ولدي بالدرجة كاملة ١٠٠٪

وهو هنا يوجه رسالة تربوية للطلاب، حينها تمني الطلاب كلهم أن لو كانوا من الحفظة، ومن لم يحفظ منهم فله (الجلطله) التي يهاجمها الطلاب كثيراً وهي نوع من وسائل التأديب لمن لم يحفظ، فكان يمسك يد الطالب بيده ويضربه على ظهرها بقوة قريبة من قوة السوط والعصا تدفعهم إلى عدم تعريض أنفسهم لها رحمه الله.

وهكذا استمرت العلاقة التي كان سببها القرآن مع شيخني طيلة سنوات المعهد الست، وكان من حرصه على القرآن وأهله أن أسس جمعية في المعهد اسمها جمعية القرآن الكريم، وكانت تجتمع أسبوعياً برئاسة رحمه الله، وقد رشحني أن أكون أميناً لهذه الجمعية، وكانت تصدر مجلة بعنوان: صوت أهل القرآن

تُعنى بالأبحاث والمقالات المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، وكان يثريها رحمه الله بمقالاته وكتاباتة، كما شرفت بإمدادها بعدد من المقالات ولا أزال أحتفظ بجملة من أعدادها إلى اليوم، وأزِينُ بها مكتبتي الخاصة.

ومن المواقف التي لا أنساها له رحمه الله أنه في الاحتفالات العامة يرشحني لافتتاحها بالقرآن الكريم؛ فعند عودة الملك خالد رحمه الله من رحلته العلاجية في بريطانيا أقام له أهل الرياض احتفالاً كبيراً أشرف عليه خادم الحرمين الشريفين الملك/ سلمان بن عبد العزيز، عندما كان أميراً للرياض، اتصلت بالإمارة بالجامعة لاختيار من يفتتح الحفل بالقرآن الكريم فتواصلت الجامعة مع المعهد، وعهدت إدارة المعهد إلى الشيخ المنيف في الاختيار فقال: ما لها إلا ولدي عبد الرحمن، وجاء إليّ في الفصل، وحثني على المشاركة فاستحييت بل وهبت أن أقرأ في احتفال كبير أمام الملك وأنا في الثالث المتوسطة وقلت له: لعلكم ترون غيري، فقال لي بقوة: ما لها إلا أنت استعن بالله يا ولدي، فقلت أجل الشكوى إلى الله، فضحك ضحكة قوية، وكان رحمه الله إذا ضحك أو عطس اهتزت لصوته أروقة المعهد بأدواره المتعددة، وكذا في عدد من المناسبات.

وعند اجتيازي للشهادة الثانوية للمعهد لم تنقطع العلاقة به بل استشرته للكلية فأشار رحمه الله علي بكلية الشريعة أو أصول الدين، وكنت دائم التواصل معه في كل ما يهم في شأن القرآن والعناية به.

ويوم أن منّ الله عليّ بالإمامة والخطابة في المسجد الحرام بشرته ففرح فرحاً عظيماً وقلت له: هذه ثمار غرسك يا والدي الكريم، وكان إذا زار مكة مشاركاً في التوعية الإسلامية في الحج يشرفني في المنزل بمكة، فنجتمع الأسرة على محبته وتكريمه لما له من فضل علينا وأثر في الاهتمام بالقرآن.

وكان إذا سلم عليه أحد أو جلس مع أحد في مجلس يحثهم على الحفظ ويحفزهم فيقول مثلاً لأحد الحاضرين: كم تحفظ؟ فيقول مثلاً: عشرة أجزاء، فيقول لا يأتي العام القادم إلا وقد حفظت عشرين أو أتممت، واعدني ..!!

وقد تم ذلك لأبنائي عبد العزيز وصهيب وعبد الله بتشجيعه رحمه الله.

ويوم أن نلت الثقة من ولاية الأمر حفظهم الله بتعييني في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي كان من أوائل من شجعني وحفزي على القيام بهذه المهمة العظيمة، وكان يؤكد عليّ بأن أكون عند حسن الظن وأؤدي ما أوكل إليّ من أعمال بكل جد واجتهاد وإخلاص وحرص على توجيهات ولاية الأمر حفظهم الله

ومرت الأيام وشيخنا يُفني عمره في خدمة القرآن والعلم والتعليم والدعوة إلى الله؛ حيث عمل بعد تقاعده في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد داعية موفقاً ورئيساً للجنة اختيار الأئمة والخطباء، وهو ابن بجدتها في الإمامة والخطابة حيث قام بهذه المهمة أكثر من نصف قرن من الزمان في جوامع متعددة في الرياض أهمها؛ جامع حي الشفا إلى أن ابتلاه الله بالمرض؛ رفعةً في درجاته، وتكفيراً لسيئاته، ومضاعفة لحسناته، فكنت أعيش معه بالدعاء والمتابعة مع أبنائه منيف وإخوانه حتى توفاه الله عز وجل .

غفر الله له ورحمه، وجعل القرآن شفيعه وحجة له، وجزاه عني وعن طلابه خير ما جرى أستاذا عن تلاميذه
لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، والحمد لله على قضاءه وقدره، وإن القلب ليحزن، والعين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، إننا لله وإنا إليه راجعون.

فيا راحلاً عنا رحيلاً مؤبداً عليك سلام الله ما الصبح أشرقاً
إلى الخلد في دار البقاء منعماً تروح وتغدوا في الجنان محلقة
وإننا بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره لنقدم أحرّ التعازي، وأصدق المواساة إلى
أبنائه الكرام منيف وإخوانه وأسرته الكريمة، وطلابه وحفظة القرآن الكريم،
سائلين الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يلهم الجميع الاحتساب والصبر، وأن
يعظم لهم المثوبة والأجر
وصلی الله علی نبینا محمد وعلی آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه

عبد الرحمن بن عبد العزيز السدي

إمام وخطيب المسجد الحرام

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي